عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الأولى: حلم الوحدة: المفهوم والمقتضيات
الدرس الرابع: حلم الوحدة (التجليات)
اسم المحاضر: الدكتور أحمد عبادي

حلم الوحدة (التجليات)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

الدولة في الإسلام مقصد بالتبع وليس بالأصالة؛ لأنها مقصد لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، مقصد لتحقيق مُراد الله عزّ وجل من هذه التجمعات البشرية التي تنتظم تحت لواء التديّن بالدين الخاتم، فهذه الدولة؛ هي آلية لا بد منها من أجل تحقيق هذه المقاصد، وإقامة هذا الشرع الحنيف، وإشاعة رحمة الله المزجات بين الناس محلياً وعلى الصعيد العالمي، من حيث تقديم الشهادة ومن حيث تقديم الأُسوة والأنموذج ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة: 142).

فإذن الدولة؛ هي سبب وشرط ورافعة لتحقيق هذه المقاصد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية؛ هذه المقاصد أحصاها العلماء وحصروها في **ستة مقاصد كبرى** هي خمسة، لكنهم قسموا مقصد العرض إلى قسمين؛ وهذه المقاصد هي: الحفاظ على الحياة، والحفاظ على الدين، والحفاظ على العرض بقسميه، النسل والكرامة، ثم الحفاظ على العقل، ثم الحفاظ على المال.

فإذن حفاظ على الحياة، حفاظ على الدين، حفاظ على النسل، حفاظ على العرض، حفاظ العقل، وحفاظ على المال، هذا التحقيق لهذه المقاصد بطبيعة الحال لا بد فيه من آليات لقياس جدواه، وقياس نجاعته، وقياس مدى تنزيله على أرض الواقع، فلكل زاعمٍ أن يزعم أنه يريد الحفاظ على الحياة،

لكن من ثمارهم تعرفهم، لا بد أن نرى إلى هذه الآثار، ولذلك فإن ربّ العزّة ينهانا أن نقول ما لا نفعل ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصف: 2-3)، ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة:106).

وهذا المسلك؛ هو مسلك رباني، ومسلك نبوي بامتياز، بالإضافة إلى هذه الآيات فيها آياتٌ أخرى في هذه المنظومة؛ منظومة أرحم الراحمين آيات أخرى فيها ربط أنكى العقوبات للذين يقولون الكلام الجميل، ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ (البقرة:203) إلى غير ذلكم من أضرب الوعيد التي ارتبطت بترك الكلام على عواهنه دون النظر في ثمراته.

وبالتبع لا بد من بلورة جملة من الآليات لقياس ذلك، الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يرسل السرايا، يأمر القادة أن ينظروا إلى الأذان، أن ينظروا إلى الصلوات، ينظروا إلى مدى وجود المساجد، ينظروا إلى مدى توفير رحمة الله للعباد بهذا الانتظام في نظام الدين الخاتم، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يترك الأمور على عواهنها.

ولذلك فإنه من الممكن اليوم أن نقيس هذه الأمور الداخلة تحت مُسمّى الدولة الإسلامية، أو الوحدة في إطار الدين الحنيف، فإذا لم يكن هناك حفاظ على الحياة، ولا حفاظ على الدين بكل اليسر الذي يرتبط به ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة: 184)، وبكل مقاصد العدل والخيرية التي جاء النص عليها بصريح العبارة في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بوجود التيسير وعدم التعسير، والتبشير وعدم التنفير، فإذا كنا نرى التنفير عوض التبشير، والتعسير عوض التيسير، عُلم أن الأمر لا يتصل بوحدة بل يتصل بالتفرقة، ويتصل بالصد والصدف عن سبيل الله، عوض الدعوة والتبشير برحمة ربّ العزّة من خلال هذه المنظومة المباركة.

أيضا حين نتحدث عن هذه الوحدة لا يمكن أن نفصل ذلكم عن المحبة للناس، وسلامة الناس؛ من اليد ومن اللسان، و«المسلم، من سلم المسلمون من يده ولسانه»، و«المؤمن من أمن جاره بوائقه»، و«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، تفجير الذات هذا ليس بمحبة للنفس، وليس بمحبة للغير، من أجل لإلحاق النكاية بالمؤمنين والمؤمنات، والأبرياء منهم على وجه الخصوص والبريئات، فلذلك لا يمكن أن نترك هذه الأمور على عواهنها وندعي بعد ذلك أنها وحدة.

الحفاظ على الحياة يتم بتنشئة مستشفيات التلقي والاستقبال لمن له حاجة، ويبست منه الحشاشة، تكوين الأطباء الذين سوف يشرفون على هذه المستشفيات، الممرضون والممرضات الذين

سوف يواكبون ويتابعون، صناعات الأدوية، دراسات الجراحة، والتشريح المواكبة لكل ذلكم، أيضا العناية قبل الاستقبالية السريرية وأثناءها وبعدها، وهذه كلها مهارات يمكن أن تقاس وفق مؤشرات واضحة المعالم، حتى يصبح هذا المقصد مرتبطاً بمؤشراته وبمعايير تحقيقه، ولا يبقى إبقاء للكلم والشعارات على عواهنها.

حفظ الدين؛ لا يمكن أن يكون حفظ الدين، إذا غابت الرؤية الكلية عن تبليغ هذا الدين، وإذا غاب تكوين العلماء الرحماء الربانيين من أجل تبليغ كلام الله وسنة مصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإذا غاب تَشْيِيد المساجد، وإعمار هذه المساجد بالمضامين التي فيها تجسّد للمقاصد المذكورة آنفا، إذا لم يكن هناك برامج لتكوين الحملة لهذا الفضل.

وهذا كله أيها الأحبة لا يمكن أن يكون بدون استقرار، إذا حلّت الفتنة؛ فإن الفتنة أشدُّ من القتل، لا يبقى من الممكن فعل أي شيء من هذا. إذا أُشعلت وأُضرمت الحرائق في المشارق والمغارب، عن أي تكوين للعلماء نتحدث؟ أضف إلى هذا كله أن هذه الوحدة لا يمكن أن تكون بدون مؤسسات. وسوف نرجع إلى الحديث وتفصيل الكلام حول هذه القضية.

أيضا **الحفاظ على النسل**، كيف يمكن أن يطمح الناس إلى زواج؟ وإذا نام يُضمن الأمن والاستقرار؟ ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ (قريش:3- 5)، ربّ العزّة يمن على المؤمنين بحق؛ وهو الخلاق العليم الرحمن الرحيم، بأنه مكنهم من العبادة بإطعامهم من الجوع، وبتأمينهم من الخوف.

فلا يمكن أن نطمح إلى استمرار النسل إذا أشعلنا الحرائق في كل مكان؛ ولا سيما حين تكون هناك نوافذ للتقريب بين الفرقاء، لرأب أضرب الصدى التي تكون بينهم، نتجاوز كل ذلك من أجل إضرام هذه الحرائق من غير أن يكون ذاكم مؤسسا على الموازين التي ينص عليها الشرع الحنيف.

الحفاظ على الكرامة سوف نرجع إليه أثناء الحديث عن حلم الكرامة؛ لكن له أيضا معاييره ومؤشراته من ضمانٍ للحقوق، وتيسير لقنوات الإطلاع بالواجبات، وبناء القدرات والمهارات التي تمكن عباد الله من الاضطلاع بواجباتهم، والقيام بهذه الواجبات، أيضا أن تكون هناك الحكامة والتدبير الملائمة لإيصال الحقوق لذويها، إلى غير ذلك من المعايير والمؤشرات التي سوف تكون لنا إليها عودة بإذن الله.

الحفاظ على العقل، كيف نُربي؟ كيف نُكون المعلمات والمعلمين؟ والمربيات والمربين؟ هل ننشئ من مدارس؟ هل ننشئ من إعداديات وثانويات؟ هل ننشئ من جامعات إلى غير ذلكم من الأمور؟ ثم ما هي التكوينات التي يتلقاه هؤلاء في هذا العالم، الذي بات عالماً رقمياً بامتياز، والذي لا بد فيه من مراعاة هذه الأبعاد من أجل إحلالها في وجدانات، وفي عقول، وفي كيانات ناشئتنا؛ لكي يستطيعوا الجري بالجري الذي يتلاءم مع عالمهم الذي يعيشون فيه «فزاحم بالذكاء لتفضلا» الحفاظ على المال، كل هذه الأمور أيها الأحبة تنتظم تحت ما يمكن أن نسميه بوظائف الدولة التي تروم تحقيق هذه الوحدة.

هذا لا يعني أننا لن نزعم أن الدول المنتسبة للإسلام اليوم، قد بلغت حد الكمال في هذه الأمور، هناك جهد لا بد من بذله، هناك عكوف لا بد من عكوفه، هناك أضرب من المبادرات لا بد من إطلاقها، ونحن نحمد الله عزّ وجلّ أن هذا البلد له هذه الفضيلة والمكرُمة بحمد الله تعالى، كما لإخواننا وأخواتنا في البلدان الأخرى.

وكما سلف ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (المطففين:26)؛ هذا البلد له مَكْرُمَة أنه يجتهد، ويستحضر قول الله عز وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ**﴾ (الانشقاق:6)، ويستحضر كون الإنسان قد خلق في كبد، يستحضر وجوب استدامة الاجتهاد من أجل بلوغ هذه الربى؛ التي هي ربى المنشود؛ انطلاقاً من كل تضاريس وتشخّصات هذا الموجود، فلا نزعم أننا قد وصلنا، لكن على الأقل هناك كدح من أجل توفير المناخات للانطلاق.

والزمن أيها الأحبة؛ زمن لا يمكن التوق ولا الطموح للوصول إلى هذه المستويات، ولا إلى هذه المقامات من الأداء؛ الذي يكون في تحقيق مطلب التنافس الإيجابي، إذا لم يكون هناك تعاونٌ في تفعيلٍ وإمضاءٍ تضامنٍ ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة:3).

يتواصل حديثنا عن حلم الوحدة وغيره من الأحلام في لقائنا القادم بإذن الله، وإلى ذلكم الحين أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.